



مجلة النور للدراسات الإنسانية

<https://jnh.alnoor.edu.iq/>



النقد الثقافي دراسة تطبيقية لقصيدة (كلمات) لنزار قباني

عبدالجليل مصطفى شعبان¹ و عواد صالح الحياوي²

¹ قسم اللغة العربية، جامعة الحمدانية ² الدراسات النقدية، وزارة التربية/ الكويت

Article Information

Article history:
Received: 11 December 2024
Revised: 10 January 2025
Accepted: 20 January 2025

Keywords:

Criticism
Culture
Diwan
Nizar Qabbani

Corresponding Author

Abdul-Jalil Mustafa Shaabn
Abdadd180@gmail.com

المستخلص

يتناول هذا البحث مفهوم الخيال الأدبي في النقد الثقافي باعتباره أن للنقد الثقافي تخصصاً معرفياً ومنهجاً تحليلياً للثقافة من منظور اجتماعي سياسي يتجاوز الاهتمام الجمالي، لقد شكلت الأصول النظرية للنقد الثقافي نقطة تحول كبيرة في الساحة النقدية العالمية، لتتجه نحو تفكيك الأنساق الثقافية المضمرّة، والكشف عن البنى الفكرية والاجتماعية التي تتوارى خلف الخطاب الشعري. فالنص في ضوء هذا المنظور لا يُقرأ بوصفه بناءً لغوياً فحسب، بل يُدرس باعتباره حاملاً لرؤية ثقافية تعبّر عن منظومة قيم، وعلاقات سلطة، وتمثّلات للذات والآخر داخل سياقها التاريخي والاجتماعي. وتُعد قصيدة «كلمات» للشاعر أنموذجاً ثرياً لتطبيق آليات النقد الثقافي؛ لما تتطوي عليه من أبعاد دلالية تتجاوز الغنائية العاطفية إلى مساءلة البنية الثقافية للعلاقة بين الرجل والمرأة، وإعادة تشكيل صورة الأنثى في الخطاب الشعري الحديث. فقباني لا يكتفي بتقديم تجربة وجدانية، بل يعيد صياغة مفهوم الحب بوصفه موقفاً ثقافياً يقاطع مع قضايا الحرية، والهوية، والجسد، والسلطة الرمزية. وتتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسعى إلى الكشف عن الأنساق المضمرّة في القصيدة، ولا سيما نسق الذكورة والأنوثة، ونسق التمرّكز حول الذات، ونسق اللغة بوصفها أداة لإعادة إنتاج الهيمنة أو مقاومتها ويهدف هذا البحث إلى مقارنة قصيدة «كلمات» مقارنة ثقافية تحليلية، من خلال تتبع البنى الدلالية والرمزية فيها، واستجلاء الأنساق الثقافية التي تتخفى خلف جماليات التعبير، للكشف عن العلاقة الجدلية بين النص والواقع، وبين الشعر والثقافة. وبذلك يسعى البحث إلى الإسهام في توسيع أفق قراءة شعر نزار قباني، بوصفه خطاباً ثقافياً يعكس تحولات المجتمع العربي المعاصر ويعيد تشكيل وعيه الجمالي والفكري

الكلمات المفتاحية: النقد، الثقافي، ديوان، نزار قباني.

DOI: <https://doi.org/10.69513/jnfh.v4.i2.a18> ©Authors, 2026, College of Education, Alnoor University.
This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).

Cultural Criticism: An Applied Study of Poem “Words” by Nizar Qabbani

A M Shaaban¹ and A S Al-Harbow²

¹Department of Arabic Language, Al-Hamdanaya University

² Critical Studies, Ministry of Education / State of Kuwait

Abstract:

This study addresses the concept of literary imagination within cultural criticism, considering that cultural criticism constitutes a distinct intellectual discipline with an analytical methodology for studying culture from a socio-political perspective, extending beyond mere aesthetic concerns. The theoretical foundations of cultural criticism have represented a major turning point in the global critical landscape, shifting the focus toward deconstructing implicit cultural systems and revealing the intellectual and social structures concealed behind poetic discourse. From this perspective, a text is not read merely as a linguistic construct, but as a carrier of a cultural vision that expresses a system of values, power relations, and representations of the self and the other within its historical and social context. The poem “Kalimat” by serves as a rich model for applying cultural

(فرانكفورت) الألمانية سنة ١٩٢٣م، الذي صار مقراً لما عرف فيما بعد باسم (مدرسة فرانكفورت) لتدل على مجموعة من المفكرين يبنون نظرية اجتماعية بعينها، أنسها مجموعة من المفكرين اليساريين من ذوي التوجه الماركسي، الذين ينتمون إلى الطبقة البرجوازية والوسطى من المجتمع، وكان من أبرزهم ماكس هوركهايمر (١٨٩٥ - ١٩٧٣م) الذي أرسى الأسس الأولى لتشكيل هذه المدرسة؛ ومحاولتها من إيجاد نظرية نقدية جديدة مهمتها الكشف عن التناقضات الاجتماعية التي تسهم في صعود المجتمعات الرأسمالية المعاصرة.⁽⁸⁾

لقد أثرت (مدرسة فرانكفورت) في حقل الدراسات الثقافية بما قدمته من نظريات عديدة جعلت من الأدب ودراسته من أهم الأهداف التي سعى إليها نقاد هذا الاتجاه، ناظرين إلى طبيعة الأدب وتأثيره في الوعي الاجتماعي مثل أي سلعة ثقافية تخضع لقوى الإنتاج الرأسمالي، بل أصبح الأدب في منظورهم جزء لا يتجزأ من السلع الثقافية المستهلكة من قبل الجماهير، وهذا ما عمل عليه ماكس (هوركهايمر) في أعماله النقدية التي ربطت الأدب بما يحيطه من السياقات الخارجية التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.⁽⁹⁾

ثانياً- الدراسات الثقافية: لقد شكلت الدراسات الثقافية نقطة تحول كبيرة في الساحة النقدية العالمية منذ ظهورها إلى اليوم؛ نظراً لما أحدثته من حركة نقدية وفكرية خلفت كثيراً من الآراء والمفاهيم التي أثرت الفكر الإنساني والساحة المعرفية على العموم، فهي تخصص معرفي أو أكاديمي ومنهج تحليل للثقافة من منظور اجتماعي سياسي أكثر مما هو جمالي، وهو مجال حديث العهد نسبياً حتى في الغرب نفسه؛ إذ ترجع بداياته إلى ستينيات القرن العشرين في بريطانيا على أيدي مجموعة من الناشطين والمفكرين والأكاديميين البريطانيين اليساريين⁽¹⁰⁾، وتشغل الدراسات الثقافية باتساعها البحثي، بأنها تأخذ ما تحتاجه من أية قاعدة بحثية وتكيفها بما يتلاءم مع الأغراض الخاصة بها، إذ تؤدي وظيفتها من خلال الاستعارة من كافة فروع المعرفة كالعلوم الاجتماعية، والإنسانية، والفنون، فهي مقبّسة مناهج بحثية ونظريات من علم الاجتماع، علم الأنتروبولوجيا علم النفس، اللغويات، النقد الأدبي، نظرية الفن، الفلسفة، والعلوم السياسية.⁽¹¹⁾

إن معالم الدراسات الثقافية لم تتبلور إلا بعد تأسيس مركز برمنجهام للدراسات الثقافية المعاصرة سنة ١٩٦٤م، في جامعة برمنجهام البريطانية، على يد (ريتشارد هوجارت) وزميله (ستيوارت هول)، شكل هذا المركز منبراً علمياً ومعرفياً متميزاً، انصرف إلى معالجة القضايا الثقافية في أفقها الإنساني والعالمي، دون تقيّد بمصدر إنتاجها أو حدودها الجغرافية. فقد انفتح على دراسة الثقافة بوصفها ظاهرة شاملة تتقاطع فيها الأبعاد الاجتماعية والفكرية والإعلامية. وقد عكست النشرة التي أصدرها سنة 1971م طبيعة هذا التوجه، إذ تضمنت أبحاثاً في مجالات متعددة، منها: وسائل الإعلام، والثقافة الشعبية، وثقافات الهامش، والمسائل الأيديولوجية، والأدب، وعلم العلامات، وقضايا الجندر، والحركات الاجتماعية، وأنماط الحياة اليومية، فضلاً عن موضوعات أخرى متنوعة تعكس اتساع أفق الدراسات الثقافية وتعدد مقارباتها⁽¹²⁾، وفي مجال اهتمامها في دراسة الأدب فقد قوضت الدراسات الثقافية الحدود بين الحقول المعرفية المختلفة؛ لكي تفتح مسار الدراسة والنقد على مناهج مستقاة من الدراسات الأدبية والتاريخية والاجتماعية، ودراسات الاتصال والسينما، وهي بهذا أفقدت مركزية الأدبية للنصوص لتجعلها في مصاف أنماط الكتابة الأخرى، التي لا تختلف عنها من حيث كونها منتجات ثقافية فضلاً عن ذلك لم ينصب اهتمام نقاد الدراسات الثقافية على الأعمال الأدبية فقط، بل ركزت على عملية الكتابة، والنشر، والتوزيع، وجنود القراء⁽¹³⁾، وفي ظل هذا

التوسع في النظر النقدي فقد شكل ذلك علامة على التحول عن نظريات الأدبية باعتبارها سمة جمالية ثابتة ومعتمدة إلى الأدبية باعتبارها تصنيفاً اجتماعياً يتم إنتاجه عبر مؤسسات النشر والتعليم والنقد الأدبي في الدراسات الثقافية ... لا تعتبر أدبية الأدب خاصية لنمط معين من الكتابة، لكنها بالأحرى دالة على الطرق التي يتم بها تداول أشكال مختلفة من الكتابة اجتماعياً، سواء من قبل الكتاب أنفسهم أو القراء، أو الناشئين.⁽¹⁴⁾

وتجدر الإشارة إلى ما قدمه إدوارد سعيد من منجز نقدي أغنى حقل الدراسات الثقافية والنقد الثقافي وأثرى مقارباتها، بسعيه إلى اجترار وظيفة مميزة للنقد، تفكك خطاب المركزية الغربية وما تضمنها من رؤى نسقية تموقع الآخر في حيز الهامش، فكان من الأوائل الذين حركوا الاهتمام باتجاه النقد الثقافي في كتابيه (الاستشراف)، والعالم والنص (الناقد) (١٩٨٣) وكذلك ما كشف عنه من تواطؤ الرواية الأوروبية مع القوى الاستعمارية في كتابه (الثقافة والإمبريالية).⁽¹⁵⁾

ويُعَدُّ عبد الله الغدامي من أوائل النقاد العرب الذين سعوا إلى تبني مفهوم النقد الثقافي بصيغته الحديثة، كما بلوره Vincent B. Leitch، إذ عمل على توظيف أدواته الإخراجية في تحليل جملة من الظواهر الثقافية العربية. وقد مكّنه هذا التوجه من مقارنة موضوعات وإشكاليات لم تتمكن مدارس النقد الأدبي التقليدية من معالجتها بالفاعلية ذاتها، نظراً لانشغالها بالجانب الجمالي أو البنيوي للنص، وإغفالها الأنساق الثقافية المضمرّة وعلاقات السلطة الكامنة في الخطاب⁽¹⁶⁾، إذ عرف النقد الثقافي بأنه: فرع من فروع النقد النصوي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الأسنوية معني بقدر الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته، وهو لذا معني بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي⁽¹⁷⁾، ويرى الغدامي أن النقد الثقافي يسعى إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة البلاغة والجمال، فهذه الأنساق المضمرّة هي أساس الاستهلاك الثقافي الذي يحدد جماهيرية النص واستمراريته، وينظر الغدامي في مشروعه النقدي هذا إلى الثقافة العربية كنص ضخم متنوع التكوينات والوجوه، ويرى أن السؤال الذي ينبغي على القارئ/ الناقد الإجابة عنه هو: كيف يمكن داخل نص الثقافة العربية أن نقرأ بعض الأنساق التي تشكلت عبر القرون لتكون السمات المميزة لهذه الثقافة⁽¹⁸⁾.

يوجّه عبد الله الغدامي نقداً إلى مسار النقد الأدبي، قديمه وحديثه، إذ يرى أنه انشغل بالنصوص التي تُقرّها المؤسسة الثقافية الرسمية وتمنحها صفة الأدبية والجمالية، في حين أغفل نصوصاً وخطابات أخرى لا تحظى باعتراف تلك المؤسسة. ووفقاً لرؤيته، فإن هذا الاصطفاء أسهم في تضيق مجال النقد وحصره في دائرة أكاديمية نخبوية، الأمر الذي أبعد عن هوم المجتمع وقضاياه الفعلية، وأضعف أثره في المجال العام. كما يذهب الغدامي إلى أن تركيز النقد الأدبي على الجوانب الجمالية والبلاغية فحسب حال دون مساءلة المضامين الفكرية والاجتماعية الكامنة خلف تلك الجماليات؛ إذ قد يتوارى خلف البناء الفني المتقن نسق سلطوي أو خللٌ ثقافي غير منظور. ومن هنا تتجلى أهمية النقد الثقافي، بوصفه منهجاً يسعى إلى كشف الأنساق المضمرّة، وتعرية البنى السلطوية والاختلالات القيمية التي تختبئ وراء الزخرف البلاغي والتشكيل الجمالي للنص الأدبي، ليعيد وصل النقد بالفعل الاجتماعي والثقافي في آن واحد.⁽¹⁹⁾ ثلثاً- مرتكزات النقد الثقافي:

¹⁶ ينظر: مبادئ تحليل النص (الشعري، السردى، المسرحي). 44 - 45 :

¹⁷ ينظر: **الذوق الثقافي قاءة في الأدب** : ٨٤-٨٣.

¹⁸ (ي) : **ماد تل ال (ال ع ، ال د ،**

ال حي. 44 :

¹⁹ ينظر: مبادئ تحليل النص (الشعري، السردى، المسرحي). 44 :

⁸ ينظر: في الحداثة وما بعد الحداثة (دراسات وتعاريف)، سهيل نجم. 14 :

⁹ ينظر: ما بعد الحداثة في النقد العربي الحديث. 110 :

¹⁰ ينظر: الدراسات الثقافية (مقدمة نقدية)، سليمان ديونغ، تر: ممدوح يوسف عمران. 9 :

¹¹ ينظر: المصدر نفسه. 10 :

¹² ينظر: مبادئ تحليل النص (الشعري، السردى، المسرحي). د. جاسم محمد جاسم العجة. 43 :

¹³ ينظر: موسوعة كمرديج في النقد الأدبي. 249 :

¹⁴ ينظر: المصدر نفسه. 249 :

¹⁵ ينظر: الهويات والتعددية اللغوية (قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن)، عز الدين المناصرة. 10 :

يقوم النقد الثقافي على منظومة مفهومية وإجرائية تسعى إلى كشف ما يستتر خلف الخطابات من أنساق فكرية وثقافية، متجاوزاً حدود القراءة الجمالية التقليدية. وتتمثل أبرز متركزاته فيما يأتي:⁽²⁰⁾

1. الدلالة النسقية: يُميز النقد الثقافي بين ثلاث مستويات للدلالة:

- الدلالة الصريحة التي تستقر في حدود الجملة النحوية.
- لدلالة الضمنية التي تتشكل داخل الجملة الأدبية.
- الدلالة النسقية التي تُعَدُّ أهمها، لأنها تكشف المضمير الثقافي الكامن خلف النص، وتتطلب أدوات دقيقة تتجاوز الوعي المباشر والنقدي.

الدلالة النسقية ليست ظاهرة في سطح النص، بل تتخلّق في عمقه الثقافي، وهي ما يُعَوِّل عليه النقد الثقافي في قراءة البنى الخفية.

2- **الوظيفة النسقية:** لا ينظر النقد الثقافي إلى النص بوصفه خطاباً جمالياً أو أدبياً، وإنما بوصفه حدثاً ثقافياً يمرّر أنساقاً اجتماعية وتاريخية من خلال قناع بلاغي، والنسق – بوصفه بنية مضمرة – يتجاوز دائماً مع النسق الظاهر، ويؤثر في المتلقي بحسب طبقته وجنسه وخبراته، كما نراه في الأمثال والأغاني والشائعات والحكايات الشعبية. وعليه، تتحول وظيفة النص من الوظيفة الشعرية (عند جاكسون) إلى الوظيفة النسقية المحملة بالدلالات الثقافية.

4- **المجاز الكلي:** يتجاوز النقد الثقافي حدود المجاز البلاغي الجزئي إلى المجاز الكلي الذي يجعل الخطاب بأكمله حاملاً لمضمرات ثقافية واسعة. فكل خطاب لغوي – بحسب هذا التصور – ينطوي على استعارات كبرى تحتاج إلى “حفر” يكشف أثر اللغة في الذهنية الجمعية، لأن النص يصبح شبكة من المجازات الكلية التي تخفي دلالات ثقافية واضحة.

1. **التورية الثقافية:** وهي ليست مجرد وجود معنيين قريب وبعيد كما في البلاغة، بل وجود نسقين: نسق ظاهر واعي، وآخر مضمّر غير واعي، يعمل من خلال الخطاب بطريقة مراوغة. ومن ثم تتحول التورية إلى أداة لفصح البنى الثقافية المختبئة، بحيث يصبح الكشف عن المعنى البعيد كشفاً عن النسق الثقافي الذي يحكم الخطاب من خلال

5- **لمؤلف المزودج:** يفترض النقد الثقافي وجود مؤلفين يعملان في وقت واحد:

المؤلف الجمالي/ الفني الذي يدع النص،
المؤلف الثقافي الذي يتمثل في الثقافة ذاتها، إذ تخضع في النص أنساقاً مضمرة لا يعيها المبدع نفسه.

رابعا: من خصائص النقد الثقافي:⁽²¹⁾

يسعى النقد الثقافي إلى تجاوز الانتقائية النخبوية التي تفصل بين الإنتاج الرفيع والإنتاج الشعبي، فيدرس كل ما هو ثقافي سواء أكان جمالياً أم غير جمالي، لا يلغي النقد الثقافي النقد الأدبي، بل ينطلق منه ويؤطره؛ فهو مكمل له، وقد عمل عبد الله الغدامي على توسيع أدواته بدل القطيعة معه، يتعمق في بنية النص، متجاوزاً القراءة السطحية إلى تحليل الأبعاد الدلالية والنسقية الكامنة فيه، ليكشف القيم الحقيقية والفضلى للنص، بعيداً عن الاكتفاء بالمظهر البلاغي أو الجمالي، يتدقّق النص بوصفه قيمة ثقافية متكاملة، عبر الكشف عن الأنساق المضمرة في الخطاب، ويحيط بالنص من خلال دراسة خلفيته التاريخية وسياقه الاجتماعي، وتحليل العوامل المؤثرة في شخصية منتجه، ويربط الأدب بالعلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ، مما يثري القراءة ويوسع أفق التأويل، ويتصل بالفعل السياسي، إذ يدرس علاقة المثقف بالسلطة، وكيف تتشكل أنماط التأثير المتبادل بينهما، ويسلط الضوء على النصوص المهمشة كادب المعارضة، والأدب الشعبي، والأدب النسوي، سعياً لإعادة الاعتبار لها، ويهتم بالأنساق الثقافية المحلية، محلاً مضمّراتها بهدف الارتقاء بها وتعريفها في الإطار الإنساني والعالمي.

خامساً: مآخذ النقد الثقافي:⁽²²⁾

يكشف النظر في بنية النقد الثقافي عن جملة من المآخذ المنهجية والمعرفية التي تثير إشكالات عند تطبيقه، رغم ما يمتلكه من قدرة على كشف الأنساق الكامنة وراء الخطاب، ولعل أبرز هذه المآخذ ما يأتي:

1. **النزعة التكاملية المفرطة:** يبلغ النقد الثقافي حداً من التكامل يجعل آلياته التحليلية متداخلة على نحو يصعب ضبطه. فقدترته على الجمع

بين الذات والموضوع، والسياق والنسق، والرمز والمرجع، تؤدي عملياً إلى توسّع منهجي غير منضبط، يجعل الإحاطة بجميع مقترباته أمراً عسيراً، ويُفقد التحليل حدوده المعرفية الواضحة.

2. **غلبة التأويل الأيديولوجي:** يخضع النقد الثقافي النص الأدبي لهيمنة البعد الثقافي بوصفه “حقيقة” أولى، بينما تُعَدُّ الأبعاد الجمالية والفنية عناصر ثانوية. وينتج عن هذا التوجّه تحويل القراءة إلى بحث عن آثار خارجية ليست من طبيعة النص نفسه، ولا من منطقة اختصاص المناهج الأدبية التي تعتنى بالبناء اللغوي والفعل الجمالي.

3. **إغفال الجمالية الأدبية:** لأن النقد الثقافي ينصرف نحو كشف الأنساق المضمرة أكثر من اهتمامه بالبنى التعبيرية، فإنه يغيب – في حالات كثيرة – الوظيفة الجمالية التي وُجد الأدب من أجلها. وبذلك يغدو أكثر قدرة على التعامل مع نصوص ثقافية غير أدبية، وأقل كفاءة في قراءة النصوص الفنية ذات الحساسية الجمالية العالية.

4. **افتقاره إلى معيار علمي منضبط:** لم ينجح النقد الثقافي – حتى اليوم – في صياغة معايير علمية ثابتة، سواء على مستوى التفكير أو التركيب. فغياب الصرامة المنهجية يجعل التحليل يتحول بسهولة إلى نقد موضوعاتي، يعتمد على الآليات الذاتية لا تستند إلى منظومة تقييمية واضحة، مما يفتح الباب أمام قراءات متحررة لكنها غير محكومة بقواعد تحليلية دقيقة.

5. **الحكم الأحادي والقراءة المسبقة:** إن اعتماد النقد الثقافي على التاريخ والسياسة والاجتماع كمفاتيح أولى للقراءة يجعله عرضة لتمرير فرضيات جاهزة يفرضها الباحث على النص. وهذا يقود – في كثير من الحالات – إلى استنتاجات رتيبة ومكررة، وإلى أحكام أحادية ضيقة تتجاوز الأدبية نفسها، فيبتعد بذلك عن روح النص إلى خطاب أيديولوجي مسيّج بمرجعيات خارجية.

سابعاً: الدراسة التطبيقية:

قصيدة (كلمات) لنزار قباني⁽²³⁾

يسمعني.. حين يراقصني	كلمات ليست كالكلمات
ياخذني من تحت ذراعي	يزرعني في إحدى الغيمات
والمطر الأسود في عيني	يتساقط زخات.. زخات
يحملني معه.. يحملني	لمساء وردي الشرفات
وأنا.. كالطفلة في يده	كالريشة تحملها النسمات
يحمل لي سبعة أقمار	بيديه وحزمة أغنيات
يهديني شمساً.. يهديني	صيفاً.. وقطيع سنونوات
يخبرني.. أني تحفته	وأساوي آلاف النجمات
و باني كنز... وباني	أجمل ما شاهد من لوحات
يروني أشياء تدوخي	تسني المرقص والخطوات
كلماتٍ تقلب تاريخي	تجعلني امرأة في لحظات
يبني لي قصرأ من وهم	لا أسكن فيه سوى لحظات
وأعود.. أعود لطاولتي	لا شيء معي.. إلا كلمات

العنوان: العنوان النصي (كلمات) من أهم مفاتيح فهم النص، وقد اختار الشاعر عنواناً مفرداً للقصيدة يعكس جزءاً مما تدور حوله أحداثها وأفكارها، سواء في الواقع أو في الخيال، ولقد خلق الشاعر التكيف الشخصي مع الأحداث التي تدور في مخيلته لتتلاءم مع حياته، إذ نراه يبيت معاناته حول المرأة بواسطة شعره، ليعيد صياغة حياته مع المرأة بحسب متطلبات شخصيته وحاجتها الملحة مع كل بيئته.⁽²⁴⁾

إن أول نسق مضمّر يتكشف في القصيدة هو نسق حضور صوت المرأة عبر الرجل، لكن هذا الحضور ليس حضوراً حراً تماماً، بل هو حضور تُشكّله كلمات الرجل. فالأنثى في القصيدة تتحدث، لكنها في الحقيقة تتكلم عبر ما قيل لها: (يخبرني، يقول لي، يحملني، يسمعني، يراقصني، ياخذني، يزرعني، يهديني) فهذه الأفعال التي مصدرها الرجل تتابع لتكشف لنا نسقاً ثقافياً يجعل الرجل مركز الفعل، في حين تكون المرأة مجالاً لهذا الفعل، لذلك، يتشكل وجودها في النص من خلال الاستقبال، لا من خلال المبادرة وهو نسق قديم في الثقافة العربية والعالمية، لأن الحب غالباً يُصوّر منحازاً لصوت الرجل الفاعل وصوت المرأة المتلقية.

²² ينظر: النقد الثقافي: د. أورد محمد التويجري www.cdnx.uobaby.com

²³ ديوان حبيبي، نزار قباني 9 – 8 :

²⁴ ينظر: الشخصية في علم النفس، محمد محمود الجبوري 9 :

²⁰ ينظر: المصدر نفسه : 63 – 78.

²¹ 7478/0/https://www.alantologia.com/blogs21 ينظر : النقد الثقافي، محمد حسين الناعلي.

ويظهر نسق آخر في جعل المرأة كائنًا خفيفاً هشاً فهي (طفلة، وريشة)، تتحرك بالهواء وتحتاج للحماية، هذه الصور ليست مجرد زينة، بل تعكس فكرة أن القوة بيد الرجل، والمرأة ضعيفة ومعلقة بتصرفاته، والرجل يحملها، يزرعها، يرفعها، بينما جسدها وحركتها محدودة ومتأثرة به.

ويظهر النسق الثالث في تشييء المرأة من خلال المجاز الجمالي، فالشاعر يصفها بأنها (تحفة، وكنز، ولوحة)، هذه الأوصاف، رغم أنها تبدو مدحاً، تجعل المرأة شيئاً يُعرض ويُمتلك، وقيمتها مرتبطة بمن يراها، لا بذاتها، في هذا النسق، يتحول جمال المرأة إلى ملكية رمزية، حتى في سياق الحب.

ويظهر نسق آخر بوصف العطاء امتلاكاً فيظهر بوضوح في الأبيات التي ذكر فيها (الأقمار السبعة، والشموس، والصيف، والسنونوات) هذا العطاء ليس مشاركة حقيقية، بل وسيلة لإظهار القوة والسيطرة، المرأة تتلقى ما يُعطى لها، دون أن يكون لها نفس القدرة على المبادرة، فالحب هنا يظهر كعبء من القوي إلى الضعيف، وليس علاقة متساوية، فالشاعر رغم تصويره لبعض مغامراته؛ لكنه يضيف عليها أجواء خيالية ويخلق أطراً عامة وشخصاً يجري بينها حوارات، كفضية الانتقاص من الحب القوي إلى الضعيف.

كما يظهر نسق الهروب من الواقع إلى الطبيعة، فـ (الغيم، والمطر، والسنونوات) ليست مجرد صور جميلة، بل وسيلة لإخفاء مشاكل العلاقة، والمرأة تُرفع إلى السماء، وتحمل إلى المساءات الوردية، لتبدو العلاقة ساحرة وجميلة، بينما الحقيقة أنها غير مستقرة، كما يظهر في النهاية: (أعود لطاولتي، لا شيء معي إلا كلمات). الطبيعة هنا غطاء ثقافياً يخفي النقص والضعف.

ويظهر نسق آخر وهو هو السلطة في اللغة، فكلمات الرجل تُعيد تشكيل حياة المرأة وهويتها، والكلمة تصبح قوة تتحكم بمعنى حياتها، وتحدد هويتها، هذا يعكس فكرة أن اللغة عند الرجل تملك القدرة على تشكيل المرأة أو أخذ هذه القوة منها.

وأخيراً يكشف البيت الأخير واحداً من أعمق الأنساق المضمره نسق الخيبة الذي يكمن خلف الرومانسية. كل القصور والصور الرائعة لم تبق إلا كلمات. المرأة تُترك وحيدة مع الكلام، والوعود لم تتحقق، والضوء لم يتحول إلى فعل حقيقي، فتموقعه الخفي غير الظاهر، وحتى غير الواعي أحد تحديات النقد الثقافي في شعره، لكونه لا يظهر على سطح اللغة فيتوازى خلف الجمالية ضمن أطر القبحيات التي تتجسد عبر حركة الأنساق التي لها دور سحري في توجيه الذهنات والعقليات الثقافية عند الشاعر⁽²⁵⁾، والقصيدة تنتهي بتأكيد أن المرأة كثيراً ما تُعمر بالوعود الجميلة، لكنها في الواقع تواجه الوحدة والانتظار.

أن كل ما يقع من الفلاتات متسربة عبر أفقعة كثيرة تتأبط بالدرجة الأولى بالجمالية اللغوية لتمرر أنساقها متماهية مع النص، وفي خضم التقليب عن الأنساق المضمره لابد من تبني استراتيجيات مشبعة بزخم من الثقافة والفلسفة والفكر حتى يقوم الوعي بتلقف الأنساق الحرة الثاوية في النص الجمالي وهي بطبيعة الحال لا تعود للمبدع بحد ذاته، ولا للقارئ كذلك، وإنما هي ومضات تنبجس من شطحات المنظومة الثقافية بالدرجة الأولى، تلك التي سعت لترسيخ الأنساق في اللاوعي الثقافي الجمعي، ومن ثمة يمكننا القول أن النسق المتخفي في النص الإبداعي أنتجته الثقافة ليستهلكه القراء⁽²⁶⁾ الخاتمة

1. لقد عملت هذه الدراسة على استجلاء مفهوم النقد الثقافي، وتتبع جذوره الفلسفية في مدرسة فرانكفورت والدراسات الثقافية، مُبرزة دوره في الكشف عن التناقضات الاجتماعية، وتقويض الحدود بين الحقول المعرفية. كما أبرزت دور الرواد العرب، وعلى رأسهم عبد الله الغدامي الذي يُعد الممثل الأبرز للنقد الثقافي في العالم العربي.

2. من خلال عرض مرتكزاته، تبين أن النقد الثقافي يتجاوز حدود القراءة الجمالية، مُركزاً على الدلالة النسيقية والوظيفة النسيقية التي ترى النص حدثاً ثقافياً يمرر أنساقاً مضمره، كما اتضح تميزه بخصائص جوهرية كإبعاد الانتقائية والربط بين العلوم الإنسانية والأدب.

3. وفي الجانب التطبيقي، تم الكشف عن عدة أنساق مضمره في قصيدة "كلمات" لنزار قباني، أبرزها: نسق حضور صوت المرأة عبر الرجل، تشيئها عبر المجاز الجمالي، ووصف العطاء امتلاكاً. وتجلّى أعمق هذه الأنساق في نسق الخيبة الكامن خلف الرومانسية، حيث تبقى الوعود الرائعة مجرد "كلمات".

4. وعلى الرغم من قدرة النقد الثقافي على كشف الأنساق الكامنة، فقد أشارت الدراسة إلى مآخذ منهجية ومعرفية عليه، أهمها غلبة التأويل الأيديولوجي الذي يُخضع النص لهيمنة البعد الثقافي، وإغفال الجمالية الأدبية، بالإضافة إلى افتقاره إلى معيار علمي منضبط.

Sources and References:

- Cultural Studies (A Critical Introduction), Simon During, trans. Mamdouh Youssef Imran, Alam Al-Ma'rifa, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, n.d., n.p.
- Habibati (Diwan), Nizar Qabbani, Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, n.p., 1961.
- On Modernism and Postmodernism (Studies and Definitions), Suhail Najm, Dar Shahriar, Iraq, 3rd ed., 2020.
- Postmodernism in Modern Arabic Criticism: A Critique of the Poetic Text, Ahmed Azzawi, General Union of Writers and Authors, Iraq, n.p., 2020.
- Principles of Text Analysis (Poetic, Narrative, and Dramatic), Dr. Jassim Mohammed Jassim Al-Ajja, Mashki Publishing House, Iraq, 1st edition, 2024.
- Foundations of Cultural Criticism and the Methodological Steps of the Cultural Approach, Samia Naas, Journal of Functional Linguistics, Vol. 9, No. 2, 2022.
- The Cambridge Encyclopedia of Literary Criticism, a group of authors, trans. a group of translators, National Center for Translation, Egypt, n.p., 1914.
- Theories of Literary Criticism in the Postmodern Phase, Dr. Jamil Hamdawi, ركنز (Rikaz) for Publishing and Distribution, Irbid, Jordan, n.p., 2023.
- Cultural Criticism: A Preliminary Introduction to the Main Concepts, Arthur Asa Berger, trans. Wafaa Ibrahim and Ramadan Bastawisi, National Center, Egypt, n.p., 2003.
- Cultural Criticism: A Reading of Arab Cultural Systems, Dr. Abdullah Al-Ghadami, Arab Cultural Center, Beirut, 1st ed., 2009.
- Cultural Criticism, Dr. Orad Mohammed Al-Tuwaijri, www.cdnx.uobaby.com.
- Cultural Criticism, Mohammed Hussein Al-Naghi, <https://www.alantologia.com/blogs/7478/>.
- Masoud Amshoush, "Cultural Criticism and Literary Criticism," article published in Marib Yars, Yemen, June 29, 2011.
- Ward Younis Salem, "() See: The Poetry of Ibn Hamdis: A Reading in the Light of Cultural Criticism," Diyala Journal of Humanities Research, Vol. 2, No. 102, 2024.
- Identities and Linguistic Pluralism (Readings in the Light of Comparative Cultural Criticism) (Ezzedine Al-Manasra), Dar Al-Sayel for Publishing and Distribution, Jordan, 1st ed., 2014.
- Personality in the Light of Psychology, Muhammad Mahmoud Al-Jubouri, Dar Al-Hikma Press, Baghdad, n.d., 1990.
- Signatures of the Implicit Pattern in the Poetry of Nizar Qabbani, Dr. Bouqart Tayeb, Al-Mawarith Journal, Algeria, Vol. 10, No. 2, 2020

²⁵ ينظر: توقيعات النسق المضمر في شعر نزار قباني، د. بوقرط طيب، مجلة الموروث، الجزائر، مج10، ع 10، 2023: 301.

²⁶ ينظر: توقيعات النسق المضمر في شعر نزار قباني، 302: